

الأسس والقيم التي يقوم عليها

الحوار في الشريعة الإسلامية

الدكتور/ محمد مقبول حسين

أستاذ بكلية العلوم الإسلامية

-جامعة الجزائر-

تمهيد:

لا شك أن الحوار قد أصبح ضرورة من ضرورات العصر الحديث للتغلب على المشكلات الواقعية في العالم المعاصر، وتعد القضايا الدينية جزءا لا يتجزأ من مشكلات هذا العصر، والحوار الديني يعتبر جزءا من هذا الحوار بين الحضارات. وذلك باعتبار أن الدين هو أحد المكونات الرئيسية لأية حضارة، والحوار هو لغة الحكماء والعقلاء، ويكشف عن أرضية مشتركة، فسيحة بين كل الأديان السماوية، أي أديان التوحيد، والإسلام والنصرانية فيهما قيم مشتركة، وفضائل عامة يدعو إليها الكل، مثل: المحبة والعدل والطهارة، ونحن نحتاج إلى أن نؤصل أجيالنا على هذه القيم من خلال الحوار، فالحوار بين الأديان ضرورة ملحة، ونحن على أبواب القرن الحادي والعشرين. والحوار هو تقبل الإصغاء إلى الآخر، والابتعاد عن روح التعصب، ولا يعني الحوار التطابق فكريا وعقائديا، كما لا يعني الذوبان للاختلافات في العقيدة ولكن يساعد على إبراز نقاط الالتقاء والاتفاق وتزداد أهمية الحوار لعدة أمور:

1- يشكل معتقدو الديانات الثلاثة: الإسلام، النصرانية واليهودية أكثر من نصف سكان العالم البالغ عددهم 6 مليارات نسمة، والحوار بين هؤلاء هو ركيزة السلام والوئام في العالم.

2- تساعد عدد من الاتجاهات المتطرفة في الديانات الثلاثة: وهؤلاء يروجون لقيم التعصب ونفي الآخر، ويرفضون قيم المساواة والتسامح.



3- كثير من الحروب في العالم يشكل العامل الديني العامل الرئيسي في نشوبها، كما رأينا في حروب البوسنة ومقدونيا وأفغانستان وفي جنوب السودان وغيرها، وفي عام 1992 فقط تم رصد 48 صداما دمويا بين الحضارات المختلفة سواء في فلسطين أو في كشمير أو كار أباخ أو كوسوفو.

4- بروز العديد من المفكرين الغربيين الذين يدعون بأن الصدامات والحروب القادمة ستكون بين الديانات والحضارات.

إذن غياب الحوار يؤدي بالضرورة إلى التعصب والاختلاف المذموم.

أرى من الضروري أن أذكر ما ورد في موضوع الحوار في نصوص القرآن الكريم وما يجب قبل بدء الحوار من شروط، ثم نذكر الأسس والقيم التي يقوم عليها الحوار، وبناء على ذلك اتبعت في هذا البحث الخطوات التالية:

أولاً: نصوص تؤيد منطق الحوار.

ثانياً: مقومات الحوار.

ثالثاً: الأسس التي يقوم عليها الحوار.

أولاً: نصوص تؤيد منطق الحوار

لا شك أن النصوص الإسلامية هي التي شجعت فينا منطق الحوار للوقوف على صخرة الحقيقة وهي التي جعلت التفاهم والإقناع الوسيلة الإنسانية الحضارية للتواصل والتأثير والتأثر والتفاعل الإيجابي لتبين الحقيقة، وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى ذلك في

قوله: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾⁽¹⁾.



وقوله تعالى: ﴿لَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾⁽²⁾. و﴿لَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ

بعد الرسل﴾⁽³⁾.

إنها الدعوة الصريحة الواضحة والتعامل الإنساني بالفكرة والمنطق والحوار، أما الإكراه والإعلام المضلل وشراء الأفكار وغير ذلك فهو منطق الطاغوت، وقد قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاءُ لَهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾⁽⁴⁾.

إنه المنهج السليم الذي يجب على البشرية أن تسلكه للوصول إلى الصواب وإنه ليخطئ من يتصور أن الحوار منطق الضعفاء! كلا بل هو منطق الأقوياء، فالحوار الحق، إما أنه يعلم أنه يعرض جوهره ثمينة لا يخشى عليها من الصقل والامتحان أو أنه يمتلك الشجاعة النفسية التي يتخطى بها قناعاته إذا تبينت له قوة الرأي الآخر.

وهنا نحن نشهد صرخات الحرب إما على الصعيد النظري كما في نظرية صدام الحضارات لصامويل هانتنجتون أو نظرية نهاية التاريخ ليوكوياما، أو على الصعيد العملي حيث يصرح قادة الحضارة الغربية بأنه إن لم نخضع لهم سيترل العقاب علينا ولا يوجد خيار آخر. وقد رأينا أن التسامح الإسلامي طرح فكرة الحوار بين الحضارات وفكرة الحوار بين الأديان وتقبل العالم هذه الفكرة⁽⁵⁾. ولكن هناك من يحاول نسف هذه الفكرة في الوقت الحاضر.



ثانياً: مقومات الحوار

وبالتأمل في نصوص القرآن الكريم يمكن للباحث أن يستشف أهم مقومات الحوار

منها: مقدمات الحوار:

هناك أمور يجب أن تفرض مسبقاً حتى يتم الحوار، منها ما سّماه علماءنا بتحرير محل النزاع عند دراسة المسائل الخلافية. فالحوار يجب أن يكون على محور واحد أما إذا كان في محورين مختلفين فهو غير مفيد إطلاقاً، فيجب تشخيص المحور المدعو إلى التحوار فيه، وهذا ما يمكن أن يستفاد من دعوة القرآن الكريم بأن يكون الداعي على بصيرة من أمره، ﴿قل

هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾⁽⁶⁾.

ومن هنا مسألة الاتفاق على مسلمة أولية، فإن الحوار لن ينتج مطلقاً إذا لم تكن هناك مبادئ متفق عليها مسبقاً وفرضيات مسلمة يرجع إليها المتحاوران مهما كانت أولية أو بديهية. فمن المستحيل أن تصل إلى نتيجة مع من ينكر البديهيات كأن لا يؤمن باستحالة اجتماع النقيضين أو لا يؤمن بوجود قانون العلية، أو بوجود العالم خارج الذهن الإنساني، فإنك مهما استدلت بشيء فإنه مستعد لإنكاره، ولا طريق إلا التنبيه على القضايا الوجدانية لأجل انتزاع اعتراف بها.

ومن هنا نجد القرآن الكريم يرد على أولئك المنكرين للبديهيات بتنبههم لخطأ ما يعتقدون وإيقافهم أمام تساؤلات فطرية، فعندما يؤمن المقلدون بمبدأ واحد، وينكرون غيره، فإنه لا يمكن الحوار، لذلك يتم تنبيههم عبر سؤال وجداني: "لو أنكم علمتم أن آباءكم كانوا مجانين، فهل كنتم ستبعوهم؟".



إن الجواب سوف يكون بالنفي طبعاً، وحينئذ تنطلق عملية الحوار من أحد المبادئ المسلمة وهي "معيارية العقل" يقول تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، أولو كان آبؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾⁽⁷⁾. ويقول تعالى: ﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون. قل أولو جئكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون﴾⁽⁸⁾ الجواب الطبيعي هو أن الأهدى هو المتبع⁽⁹⁾.

شروط الحوار:

وهناك شروط يجب أن يتبعها المتحاورون منها: أن يكون هؤلاء على مستوى موضوع الحوار وإذا لم يعلم أطراف الحوار الموضوع فهذا يؤدي إلى خلل في الحوار، وفي هذا يقول تعالى: ﴿هاأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم، فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾⁽¹⁰⁾.

ويقول تعالى أيضاً: ﴿إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه، فاستعذ بالله، إنه هو السميع البصير﴾⁽¹¹⁾ وهنا يقول الكاشاني: "أن يناظر مع من هو مستقل بالعلم ليستفيد منه إن كان يطلب الحق"⁽¹²⁾، ومن هنا يعتقد البعض "أن طرح الاستدلالات العلمية في الجامع العامة مع اختلاف المستويات أمر يجانب الصواب".



امتلاك الروح الموضوعية وصفة الإنصاف:

فالقُرآن الكريم يخاطب الرسول ﷺ مع قوة إيمانه طالبا منه أن يدخل الحوار بروح موضوعية فيقول: ﴿وإنا أو أياكم على هدى أو في ضلال مبين﴾⁽¹³⁾ ويقول تعالى أيضا: ﴿قل فاتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منها أتبعه إن كنتم صادقين﴾⁽¹⁴⁾، ويقول الكاشاني عند التحدث عن شروط المناظرة: "أن يقصد بها إصابة الحق وطلب ظهوره كيف اتفق لا ظهور صوابه وغزارة علمه وصحة نظره، فإن ذلك مرء منهى عنه بالنهي الأكيد" ويضيف "أن يكون في طلب الحق كمنشد ضالة يكون شاكرا متى وجدها، ولا يفرق بين أن يظهر على يده أو يد غيره، فيرى رفيقه معينا لا خصما ويشكره إذا عرفه الخطأ أو أظهر له الحق"⁽¹⁵⁾. وقد علق التسخيري قائلا: "إن القرآن يعلم المسلم أن يستمع ويقيس الأمور وبالتالي يتبع الأحسن"⁽¹⁶⁾ كما قال تعالى: ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾⁽¹⁷⁾. ومنها: احترام الرأي الآخر واحترام قناعاته، ويمكن أن نلاحظ هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم﴾⁽¹⁸⁾، وقوله تعالى: ﴿قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون﴾⁽¹⁹⁾ وتبدو روعة التعبير القرآني عند ملاحظة عبارتي "أجرمنا" و"تعملون" ويهون القرآن الكريم من التأثير بالأعمال التي يراها أحد الطرفين أمرا يبعث على الاستغراب⁽²⁰⁾. فيقول تعالى: ﴿كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون﴾⁽²¹⁾.

ثالثاً: الأسس والقيم التي يقوم عليها الحوار

1- الكرامة الإنسانية:

ورد في نصوص القرآن الكريم آيات تعتبر الإنسان خليفة في هذه الأرض، وأن الله سخر له ما في الكون وجعله تحت سلطانه وفي قدرته، وأن الله سبحانه وتعالى أعطاه الاستعداد للعلم في كل شيء، فأودع في أصل تكوينه العقل الذي يستطيع به الاستقلال في إدراك حقائق هذا الكون وما فيه، وأعطاه الاستعداد للعلم بما في السماوات والأرض. وبيّن للملائكة أنهم لم يؤتوا علم هذا الإنسان الذي اختاره خليفة في الأرض، ولهذا أمرهم بالسجود لآدم أبي الخليفة الإنسانية وقد صرح سبحانه وتعالى في سورة البقرة، إذ قال تعالى: ﴿وَإِذ قَالَ رَبِّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ، فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ، قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ. وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ⁽²²⁾. وإن هذا يدل على كرامة الإنسان منذ خلق في هذا الكون، فقد خلق لكي يكون سيداً في هذه الأرض ويسيطر عليها.



وقد صرح القرآن الكريم بهذا التكريم الإنساني في آيات كثيرة، منها ما جاء في صريح اللفظ في سورة الإسراء: ﴿ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾⁽²³⁾.

وإن هذا التكريم كما تدل الآيات والأحاديث ليس خاصاً بعنصر دون عنصر، ولا جنس دون جنس، بل الجميع سواء في حق التكريم، وقد قال النبي ﷺ: "كلكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى". فالكرامة الإنسانية يقررها القرآن الكريم والسنة المطهرة لكل من يتحقق فيه معنى الإنسانية.

إن أول تكريم كان بهمة العقل الذي سخر الله تعالى له به الكون بما فيه، سواء أكلان على الأرض أم كان في جوف السماء. ولا تفاضل بين الناس بالألوان فالأبيض والأسود على سواء إلا بالتقوى، ويروى في ذلك أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ عير آخر بسواد أمه، فقال له: يا ابن السوداء، فغضب النبي ﷺ، وقال: "لقد طفح الكيل، لقد طفح الكيل، لقد طفح الكيل، ليس لابن البيضاء على السوداء فضل، ولا فرق بين دين ودين في تكريم الإنسان حياً أو ميتاً". ويروى أنه مرت جنازة يهودي فوقف لها النبي ﷺ تكريماً، فقال له بعض أصحابه: "إنها جنازة يهودي فقال النبي الأمين الكريم: "أليست نفساً".

2- الناس جميعاً أمة واحدة:

اعتبر الإسلام الناس جميعاً أمة واحدة، والإنسانية تجمعها، وإذا فرقت الأهواء فالأصل واحد، ولقد صرح القرآن بهذه الوحدة في آيات كثيرة، وما دام الأصل واحداً فالوحدة شاملة، وقد جاء ذلك في عدة سور وعدة آيات، منها في سورة النساء التي تصرح أن الأصل واحد، فقد خلق الله تعالى الناس جميعاً من نفس واحدة وخلق من



هذه النفس زوجها، وتوالد الناس من هذين الأبوين الكريمين وهذا معنى قوله تعالى:
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا
كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾⁽²⁴⁾.

وقد جاء في سورة البقرة التصريح بأن الإنسانية أمة واحدة فقد قرر أن الناس
جميعاً أمة واحدة، وأن الاختلاف عارض، ومنشؤه اختلاف الأهواء، وأن الله تعالى أرسل
الرسول بالهداية ليحكموا بأمر الله تعالى في هذا الاختلاف، وليبينوا لهم طريق الهداية، وهذا
معنى قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ، لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا
جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾⁽²⁵⁾.

وذكر في القرآن الكريم، بأنه لم يكن اختلاف اللغات والألوان يمانع من الوحدة
الإنسانية الجامعة بل إن هذا الاختلاف من سنن الله في خلق الإنسان، إذ جعل فيه قوة
يتكيف بمقتضاها مع بيئته ويتجاوب. وقد صرح القرآن الكريم بذلك إذ قرر أن اختلاف
الألسنة والألوان من مظاهر قدرة الله تعالى في خلق الإنسان. ويظهر جلياً هذا المعنى في
قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾⁽²⁶⁾.

وإن اختلاف الناس شعوباً وقبائل لم يكن ليتقاتلوا ولكن ليتعارفوا ويتعاونوا، وقد
صرحت بذلك الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى
وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾⁽²⁷⁾.



وإن هذا التعارف يجعل كل فريق ينتفع بخير ما عند الفريق الآخر. وتكون خيرات الأرض لابن هذه الأرض وهو الإنسان، فلا يختص فريق بخير إقليمه ويحرم منه غيره، فإذا كانت الأرض مختلفة فيما تنتجه فالإنتاج كله للإنسانية كلها ولا سبيل لذلك إلا بالتعاون والحوار والتعارف الإنساني. والحوار يخلق التعاون بين الإنسان والإنسان وبين الشعوب كلها⁽²⁸⁾.

وفي سبيل ذلك التعارف والتعاون حث القرآن الكريم على السعي والضرب في الأرض طلبا للرزق وطلبا لهذا التقارب الإنساني. ولكي يحصل أهل كل إقليم على ما عند الآخرين.

وأن النبي ﷺ قد حارب التفرقة في المعاملة بسبب الألوان وصرح بذلك في كثير من النصوص مثل قوله عليه الصلاة والسلام: "الجنة لمن أطاعني ولو كان عبدا حبشيا والنار لمن عصاني ولو كان شريفا قرشيا". فليس في الإسلام بمقتضى المبادئ المقررة الثابتة اختلاف في المعاملة بسبب اختلاف الألوان، وأن التفاوت بين الناس بالعمل لا باللون، وإذا كان بعض الناس جاهلا والآخر متحضرا أو عالما، فعلى العالم أن يعلم الجاهل، وليس له أن يتحكم فيه أو يستبد به، ولقد قال علي ابن أبي طالب "ولا يسأل الجهلاء لم لم يتعلموا، حتى يسأل العلماء لم لم يعلموا"⁽²⁹⁾.

فليس لقبيلة أو مجتمع أو لدولة أن يتحكم في الآخرين لجهلهم أو لقلّة مواردهم أو لغير ذلك. ولقد كان عمر بن الخطاب قد قرر هذه الحقيقة وثبتها في النفوس بحيث يقدم المؤمن ذا السبق في الإسلام على غيره ولو كانت مترلة هذا في المجتمع أقل من الآخر، كما فعل عمر مع أبي سفيان وبلال.



وكما أن الإسلام حارب فكرة التمييز بالألوان حارب التمييز بالجنس والعنصر، فالناس جميعا آدم وآدم من تراب. لا فرق بين آري وحمي وسامي بل الجميع ينتهون إلى أب واحد وأم واحدة، وليس هناك عنصر اختص بصفات لا يختص بها الآخر. وإذا كانت ثمة لغات لبعض هذه العناصر، فذلك بحكم البيئة وما توجه إليه وهي في مجموعها لإيجاد التكافل الإنساني في الانتفاع بهذه الأرض التي جعله الله خليفة فيها بمقتضى التكوين وبمقتضى المواهب واستعدادات تجعل الكون كله مسخرا له. وإن الذريعة التي يملكها ابن الأرض ليتحكم في أخيه، ويتخذه وأرضه مستغلا يستغله ويتحكم فيه وفي مصيره، تتكون من عنصرين:

الأول: ماسبق إلى الأوهام من أن الناس أجناس، بعضها يعلوا على الآخر بمقتضى فطرته، وتجعل له الكلمة العليا المسيطرة، وللآخر الكلمة السفلى المحكومة، وبهذا كان الظلم وكانت الفتن الإنسانية، وقد سلفنا القول بأن القرآن قرر الوحدة الإنسانية في نصوص كثيرة وكانت الآيات واضحة.

الثاني: هو العصبية الوطنية والقومية. إذ أن كل إقليم يريد أن يسيطر على غيره أو أن يكون له الغلبة على الآخر كما هو الحال في المجتمعات الدولية وكل قوم يفخرون بأن لهم المكانة الأولى. وأهم فوق الجميع كما تدعي أمريكا في الوقت الحاضر، وهذا نتيجة للحروب السابقة التي ملأت الأرض بدماء الإنسان.

وما كانت هذه الحروب في الماضي إلا ليتغلب رئيس دولة على أخرى، وبذلك انتشرت نيران العداوة وظهرت العصبية القومية.

والإسلام كما هو معلوم حارب العصبية القومية والإقليمية منذ البداية، ليكون العدل هو السائد ولكي تكون المودة بين الناس وفي كل بقاع المعمورة؛ وقد قال النبي ﷺ:



"ليس منا من قاتل على العصية" فالنبي عليه السلام بريء من كل تعصب إقليمي أو قومي، وليس من الإيمان أن يتعصب المؤمن لقومه أو وطنه تعصبا يؤدي إلى الظلم".
وليس معنى ذلك أن الإسلام يؤيد محو الوطنية، بل ينهي عن النصرة التي تدفع الرجل إلى الظلم، فالنبي ﷺ هي أن ينصر الرجل قومه وهم ظالمون، ولقد سأل أبي بن كعب النبي ﷺ، فقال له: "أمن العصية أن يحب الرجل قومه؟" فقال النبي ﷺ "لا، ولكن من العصية أن ينصر الرجل قومه على الظلم" فالعصية أو الوطنية الظالمة منهي عنها بحكم الإسلام. والنبي ﷺ إذ ينهي عن العصية يمنع الظلم في الدول لتكون العلاقات على أساس المودة والعدالة، إذن فالحوار في الإسلام يؤدي إلى تحقيق العدالة والمودة بين الناس كما ينهي التعصب بين الناس.

3- التعاون بين الناس:

التعاون في الإسلام مبدأ عام في كل الجماعات الإنسانية كما قرره القرآن، وقد حث الإسلام على التعاون المطلق على البر ومنع التعاون على الإثم لقوله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾
وأن التعاون قوام الأسرة وقوام الأمة وقد جاءت النصوص الدينية الإسلامية بتعميم التعاون في داخل الإقليم الواحد وفي نطاق الإنسانية، ودعا النبي ﷺ بالقول والعمل إلى التعاون في جميع المجالات، في علاقات الدول بعضها البعض، ويطبق مبدأ التعاون في الحوار، باعتبار التعاون على الخير مطلوب من الجميع، وقد نفذ النبي ﷺ مبدأ التعاون الدولي عندما جاء إلى المدينة فعقد مع اليهود حلفا أساسه التعاون على البر وحماية الفضيلة ومنع الأذى. وأكد ذلك بالمواثيق.



وكان أساس هذا التعاون أن يتضافروا على دفع الاعتداءات وإقامة الحق أو
بعبارة عامة ما يسمى في هذا العصر "بالتعايش السلمي" وقد يتم ذلك عن طريق الحوار.
ولقد كان عليه السلام من مبادئه التعاون على نصرة الضعيف وكان يقول: "الله في
عون العبد ما دام العبد في عون أخيه". ولم يعين ذلك الأخ بل عممه، فيعم الأخوة
الإنسانية ولا يقتصر على الأخوة الدينية أو الإقليمية وإنه في الوقت الذي يشعر الإنسان
فيه بالأخوة الإنسانية وأن التعاون مطلوب في كل صوره وأحواله. فتختفي روح النزاع
ويختفي ما يذكره بعض العلماء من مبدأ التناحر على البقاء الذي جو على العالم كل
الولايات. وحسب كل قوم أن بقاءهم لا يكون إلا في الاعتداء على غيرهم. وقد يؤدي
هذا إلى الخصام وإثارة الحقد والبغض بين الأمم.

4- التسامح:

وهذا أيضا أساس من أسس الحوار لأن الحوار لا يستمر إلا على أساس التسامح،
فلهذا دعا الإسلام إلى التسامح غير الدليل، فهو يبني العلاقات الإنسانية سواء أكانت بين
الآحاد أم كانت بين الجماعات على التسامح من غير الاستسلام للشر، وقد ذكر الله تعالى
ضرورة دفع العداوة بالتي هي أحسن وأن هذا الدفع الكريم هو الذي يجلب المحبة. وأمر
نبيه أن يصفح الصفح الجميل عمن يعاديه، وقد وردت نصوص كثيرة في هذا المعنى مثل
قوله تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾⁽³⁰⁾. وقوله
تعالى: ﴿فأصفح الصفح الجميل﴾⁽³¹⁾.

وقد طبق النبي ﷺ مبدأ التسامح في علاقته مع المشركين وغيرهم في معاهداته وفي
حروبه ففي صلح الحديبية دليل واضح على هذا التسامح وقد كان أساس هذا الصلح



شططا من جانب المشركين وسماحة من جانب النبي ﷺ، فقد أصروا في صلحهم هذا منعهم من الحج في ذلك العام؛ فقبل هذا الشرط ومعه جيش يستطيع أن يغلب عليهم. كما أنهم اشترطوا أيضا على النبي ﷺ أن من يخرج من مكة مسلما ملتحقا بالنبي والمؤمنين يرد إليهم إن لم يكن ذلك يرضي أهله، وأن من يخرج من عند محمد مرتدا إلى مكة يقبلونه ولا يمنعونهم. فقبل النبي ﷺ ذلك الشرط، حتى ضج بعض المؤمنين من قبوله ووقف عمر بن الخطاب يهز سيفه ويقول: "لماذا نرضى بالدنية في ديننا" ولكنها الحكمة النبوية، والرسالة الحمديدية أثرت الصبر والسماحة وحقن الدماء وبذلك يتبين أن التسامح هو السياسة الإسلامية رسمتها النبوة في العلاقة بين الناس بعضهم مع بعض، وخصوصا بين المسلمين وغيرهم⁽³²⁾.

5- الفضيلة:

إن من أساس الحوار في الإسلام التمسك بالفضيلة سواء أكانت بين الآحاد أم كانت بين الجماعات، بين المسلمين وغيرهم، لأن قانون الأخلاق قانون عام يشمل الجميع في كل أنحاء الدنيا كما أن الفضيلة بمقتضى قواعد السلوك الفاضل حق لكل إنسان وهي وصف مشترك بين كل أبناء آدم، وقد تقرر ذلك في المبادئ الإسلامية التي تطبق على جميع أهل الأرض.

6- العدالة:

وقد ورد في نصوص القرآن آيات كثيرة تحث على العدالة مع الأعداء والأولياء في مواطن كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾⁽³³⁾ وقوله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾⁽³⁴⁾.



وقد صرح القرآن الكريم أن أساس الأحكام الإسلامية المنظمة لعلاقات الناس جميعاً بعضهم مع بعض هو العدل، وأن العدل هو الشريعة التي قامت عليها رسالة محمد ﷺ، وقامت عليها النبوءات السابقة والكتب المتزلة جميعاً.

كما أن الأحاديث متضافرة التي تحث على العدل والنهي عن الظلم مثل قوله عليه السلام حكاية عن ربه: "يا عبادي إني قد كتبت العدل على نفسي فلا تظالموا".

وإذا كان لكل دين سمة يتسم بها فسمه الإسلام هي العدالة، وهي شعاره وهي خاصته والعدالة هي الميزان المستقيم الذي يحدد العلاقات بين الناس جميعاً.

7- المعاملة بالمثل:

وإن هذا مبدأ متشعب عن العدالة غير منفصل عنها، فإن المعاملة بالمثل من قانون العدالة في التعامل الإنساني بين الجماعات، سواء أكان من يعامله مسلماً أم كان غير مسلم.

وقد قال النبي ﷺ في تقرير هذا المبدأ: "عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به" ولا يتنافى ذلك مع مبدأ العدالة ولا مع الفضيلة ولا مع التسامح، لأنه لا يصح أن يؤدي التسامح إلى انتشار الظلم، والظلم يؤدي إلى انتشار الفساد والله لا يحب الفساد.

وقد يقال إن المعاملة بالمثل تعارض التسامح والعفو، وللإجابة نقول: إن العفو يكون حيث لا تمس العدالة، ولا يوجد أكل حقوق الناس بالباطل، وموضوع العفو والتسامح يكون بعد أن يتمكن صاحب الحق منه، فيعفو أو يأخذ، وهكذا نرى أن من أبرز مظاهر العدالة المعاملة بالمثل.

وإنه بمقتضى تطبيق هذا القانون العادل، كان على الحاكم المسلم أن يعامل غيره بالمثل، فإن اعتدى عليه رد الاعتداء، وإن سألته لا يشن عليه حرباً وهكذا نرى أن



الإسلام وضع أسسا وقيما للحوار تفوق ما عند الآخرين، والإسلام يدعو إلى السلام في كافة أحواله ولكن بشروط وضوابط، والمسلم مستعد للحوار مع الآخرين كما دعا إليه القرآن الكريم.

ومن خلال بحثنا رأينا كيف أن القرآن الكريم يذكر معالم رائعة لهذا المنهج منها مسألة المرونة وعدم الجمود في الأسلوب واختيار أحسن السبل، ويقول تعالى في هذا: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾⁽³⁵⁾. أيضا: ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن﴾⁽³⁶⁾.

وقوله تعالى: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾⁽³⁷⁾.

فهدف الحوار هو الوصول إلى المساحات المشتركة ويظهر هذا جليا في قوله تعالى:

﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله﴾⁽³⁸⁾.

وبالتالي يمكن التعاون في هذا الإطار تعاوننا إيجابيا على البر والتقوى بعيدا عن الإثم والعدوان.

المصادر

- 1- القرآن الكريم.
- 2- فتح الباري بشرح صحيح البخاري. طبعة دار المعرفة. بيروت.
- 3- العلاقات الدولية في الإسلام للشيخ محمد أبي زهرة، دار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.
- 4- الإسلام عقيدة وشرعية للإمام محمود شلتوت، دار الشروق، القاهرة.



- 5- التقريب والتفاهم بين المذاهب الإسلامية، منهجه وأخلاقياته للشيخ محمد علي التسخيري، أقيمت هذه المحاضرة في المنتدى الدولي حول التفاهم بين المذاهب الإسلامية، الجزائر، مارس 2002.
- 6- أسس الحوار والتفاهم بين المذاهب الإسلامية للدكتور مبارك بن الله بن حامد الراشدي، أقيمت هذه المحاضرة في المنتدى الدولي حول التفاهم بين المذاهب الإسلامية في الجزائر، مارس 2002.
- 7- الكافية للجويني، طبع بيروت.
- 8- الحججة البيضاء في إحياء الأحياء للفيض الكاشاني، إيران.
- 9- مقالة "حوار الأديان" للأستاذ أحمد سيد أحمد، منشور في جريدة الأهرام، 2002/08/12، القاهرة.
- 10- مقالة "الحوار العربي- الإيراني لخدمة القضايا المشتركة"، منشور في جريدة الإهرام، القاهرة.

المواشير

- 1- سورة الأنفال، الآية 42.
- 2- سورة البقرة، الآية 150.
- 3- سورة النساء، الآية 165.
- 4- سورة البقرة، الآية 257.
- 5- راجع الكافية للجويني. ص 540 نقلا عن مقال الشيخ محمد علي التسخيري في التقريب والتفاهم بين المذاهب الإسلامية منهجه وأخلاقياته. ص 6-7.
- 6- سورة يوسف. الآية 108.
- 7- سورة البقرة. الآية 170.
- 8- سورة الزخرف. الآيتان 23-24.
- 9- مقال الشيخ التسخيري نقلا عن الحججة البيضاء 201/1.
- 10- سورة آل عمران. الآية 66.
- 11- سورة غافر. الآية 56.
- 12- الحججة البيضاء 101/1 نقلا من مقال الشيخ التسخيري.
- 13- سورة سبأ. الآية 24.
- 14- سورة القصص. الآية 49.



- 15- المحجة البيضاء في إحياء الأحياء للفيض الكاشاني 99/1 نقلا عن مقال الشيخ التسخيري. ص 10.
- 16- مقال التسخيري. ص 10.
- 17- سورة الزمر. الآية 18.
- 18- سورة الأنعام. الآية 108.
- 19- سورة سبأ. الآية 25.
- 20- نقل من نفس المصدر بتصريف.
- 21- سورة الأنعام. الآية 108.
- 22- سورة البقرة، الآية 30، 31، 32، 33، 34.
- 23- سورة الإسراء. الآية 70.
- 24- سورة النساء. الآية 1، وجاء هذا المعنى أيضا في سورة الحجرات. الآية 13، ومثل ذلك في سورة الأعراف. الآية 189.
- 25- سورة البقرة. الآية 213.
- 26- سورة الروم. الآية 22.
- 27- سورة الحجرات. الآية 13.
- 28- راجع العلاقات الدولية. ص 21.
- 29- العلاقات الدولية في الإسلام. ص 21.
- 30- سورة فصلت. الآية 34.
- 31- سورة الحجر. الآية 85.
- 32- العلاقات الدولية في الإسلام. ص 32 تصريف.
- 33- سورة المائدة. الآية 8.
- 34- سورة النحل. الآية 90.
- 35- سورة النحل. الآية 125.
- 36- سورة الإسراء. الآية 53.
- 37- سورة العنكبوت. الآية 46.
- 38- سورة آل عمران. الآية 64.